خُلُقُ الأبرار وشِيَمُ الأطهار

الحلقة (10)

الحلم

من تجميع وتقديم / مكتبة خير أمة الإسلامية

خلق الأبرار وشيم الأطهار

الحلقة (١٠)

الحلم

جمع وعداد / مكتبة خير أمة الإسلامية

أســلم الطفيل بن عمرو الدوسي، واستأذن الرسول صلى اللَّه عليه وسلم في أن يذهب ليدعو قبيلته (دوْسًا) إلى الإســلام، فأذن له الرسول صلى اللَّه عليه وسلم، لكنهم لم يستجيبوا للطفيل؛ فرجع إلى النبي صلى اللَّه عليه وســلم وقال: إن دوســًا قد عصت وأبت؛ فادع اللَّه عليهم، فاستقبل رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم القبلة، ورفع يديه، فقال الناس: هلكوا؛ لأن النبي صــلى اللَّه عليه وســلم سيدعو عليهم، ودعاؤه مستجاب. فدعا النبي صــلى اللَّه عليه وســلم وقال: (اللهم اهدِ دوســًا وائتِ بهم) [متفق عليه]. ثم رجع الطفيل إلى قبيلته فدعاهم مرة ثانية إلى الإسلام، فأسلموا جميعًا. وهكذا كان النبي صلى اللَّه عليه وسلم حليمًا يدعو للناس ولا يدعو عليهم.

***

ذات ليلة، خرج الخليفة عمر بن عبد العزيز ليتفقد أحوال رعيته، وكان في صــحبته شرطي، فدخلا مسجدًا، وكان المســجد مظلمًا، فتعثر عمر برَجُلٍ نائم، فرفع الرجل رأســه وقال له: أمجنون أنت؟ فقال عمر: لا. وأراد الشرطي أن يضرب الرجل، فقال له عمر: لا تفعل، إنما سألني: أمجنون أنت؟ فقلت له: لا.

فقد ســبق حلم الخليفة غضــبه، فتقبل ببســاطة أن يصــفه رجل من عامة الناس بالجنون، ولم يدفعه سلطانه وقوته إلى البطش به.

***

كان الصــحابي الجليل الأحنف بن قيس، شــديد الحلم حتى صار يضرب به المثل في ذلك الخلق، فيقال: أحلم من الأحنف. ويحكى أن رجلا شتمه، فلم يردَّ عليه ومشى في طريقه، ومشى الرجل وراءه، وهو يزيد في شتمه، فلما اقترب الأحنف من الحي الذي يعيش فيه، وقف وقال للرجل: إن كان قد بقي في نفسك شيء فقله قبل أن يسمعك أحد من الحي فيؤذيك.

ويحكى أن قومًا بعثوا إليه رجلا ليشتمه، فصمت الأحنف ولم يتكلم، واستمر الرجل في شتمه حتى جاء موعد الغداء، فقال له الأحنف: يا هذا إن غداءنا قد حضر، فقم معي إن شئتَ. فاستحيا الرجل ومشى.

***

ما هو الحلم؟

الحلم هو ضــبط النفس، وكظم الغيظ، والبعد عن الغضب، ومقابلة السيئة بالحسنة. وهو لا يعني أن يرضي الإنسان بالذل أو يقبل الهوان، وإنما هو الترفع عن شتم الناس، وتنزيه النفس عن سبهم وعيبهم.

حلم اللَّه:

الحلم صــفة من صــفات اللَّه -تعالى- فاللَّه -ســبحانه- هو الحليم، يرى معصــية العاصين ومخالفتهم لأوامره فيمهلهم، ولا يسارع بالانتقام منهم. قال تعالى: {واعلموا أن اللَّه غفور حليم} [البقرة: ٢٣٥].

حلم الأنبياء:

الحلم خلق من أخلاق الأنبيـاء، قال تعالى عن إبراهيم: {إن إبراهيم لأواه حليم} [التوبة: ١١٤]، وقال عن إسماعيل: {فبشرناه بغلام حليم} [الصافات: ١٠١].

وكان الرسول صلى اللَّه عليه وسلم أحلم الناس، فلا يضيق صدره بما يصدر عن بعض المسلمين من أخطاء، وكان يعلم أصحابه ضبط النفس وكظم الغيظ.

فضائل الحلم:

* الحلم صـفة يحبها اللَّه –عز وجل–، قال صـلى اللَّه عليه وسلم لأحد الصحابة: (إن فيك خصلتين يحبهما اللَّه: الحلم والأناة) [مسلم].

* الحلم وسيلة للفوز برضا اللَّه وجنته، فقد قال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (من كظم غيظًا وهو قادر على أن يُنْفِذَهْ، دعاه اللَّه –عز وجل– على رءوس الخلائق يوم القيامة، يخيره من الحور العين ما شـاء) [أبو داود والترمذي].

* الحلم دليل على قوة إرادة صـاحبه، وتحكمه في انفعالاته، فقد قال النبي صـلى اللَّه عليه وسـلم: (ليس الشديد بالصُّرْعَة (مغالبة الناس وضربهم)، إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب) [مسلم].

* الحلم وسـيلة لكسب الخصوم والتغلب على شياطينهم وتحويلهم إلى أصدقاء، قال تعالى: {ادفع بالتي هي أحسـن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم} [فصـلت: ٣٤]. وقد قيل: إذا سـكتَّ عن الجاهل فقد أوسعتَه جوابًا، وأوجعتَه عقابًا.

* الحلم وسيلة لنيل محبة الناس واحترامهم، فقد قيل: أول ما يُعوَّض الحليم عن حلمه أن الناس أنصاره.

* الحلم يُجنِّب صاحبه الوقوع في الأخطاء، ولا يعطي الفرصة للشيطان لكي يسيطر عليه.

الغضب:

الغضـب هو إنفاذ الغيظ وعدم السـيطرة على النفس، وهو خلق ذميم، فقد جاء رجل إلى النبي صـلى اللَّه عليه وسـلم فقال له: أوصني. فقال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (لا تغضب). فأعاد الرجل السؤال ورده مرارًا، فقال النبي صلى اللَّه عليه وسلم: (لا تغضب) [البخاري].

والغضب نوعان: غضب محمود، وغضب مذموم.

الغضـب المحمود: هو الذي يحدث بسـبب انتهاك حرمة من حرمات اللَّه، ويكون هدفه الدفاع عن العرض أو النفس أو المال أو لرد حق اغتصـبه ظالم، وكان رسـول اللَّه صـلى اللَّه عليه وسـلم –وهو القدوة والأسوة الحسنة– لا يغضب أبدًا إلا أن يُنْتَهك من حرمات اللَّه شيء.

الغضب المذموم: وهو الذي يكون لغير اللَّه، أو يكون سببه شيئًا هينًا، فلا يستطيع الإنسان أن يسيطر على نفسه، وقد ينتهي أمره إلى ما لا يحمد عقباه، ومن الغضب المذموم أن يغضب المرء في موقف كان يستطيع أن يقابل الإساءة بالحلم وضبط النفس.

ومن مواقف الغضب التي كان يمكن أن تقابل بالحلم وضبط النفس ما يُحْكَى أن رجلا آذى أبا بكر الصديق بكلام في أثناء جلوسه مع النبي صلى اللَّه عليه وسلم، فصمت أبو بكر، ثم شتمه الرجل مرة ثانية فسكت أبو بكر، ولما شتمه –للمرة الثالثة– رد عليه أبو بكر. فقام النبي صلى اللَّه عليه وسلم من المجلس، فأدركه

أبو بكر وقال له: أغضبتَ على يا رسول اللَّه؟ فأخبره النبي صلى اللَّه عليه وسلم أن ملكًا من السماء نزل يرد عنه، ويدافع عنه، فلما رد هو انصرف الملك وقعد الشيطان. ولم يكن الرسول صلى اللَّه عليه وسلم ليجلس في مجلس فيه الشيطان.

علاج الغضب: بيَّن النبي صلى اللَّه عليه وسلم عدة وسائل

لعلاج الغضب، منها:

* السكوت: قال رسول اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (إذا غضب أحدكم فليسكت) [أحمد]. وقال الشاعر:

إذا نطق السفيه فلا تُجِبْه

فخير من إجابته السكوتُ

فإن جاوبتَه سَرَّيتَ عنه

وإن خلَّيْتَهُ كَمَدًا يموتُ

* الجلوس على الأرض: قال الرسول صلى اللَّه عليه وسلم: (ألا وإن الغضب جمرة (أي: مثل النار الملتهبة) في قلب ابن آدم. أما رأيتم إلى حُمْرَة عينيه وانتفاخ أوداجه (ما أحاط بالحلق من العروق)؟! فمن أحس بشيء من ذلك فليلصق بالأرض) [الترمذي وأحمد].

* تغيير الوضع الذي عليه: قال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس، فإن ذهب عنه الغضب وإلا فليضطجع (ينام على جنبه أو يتكئ)) [أبوداود وأحمد].

* الوضوء بالماء أو الاغتسال: قال اللَّه صلى اللَّه عليه وسلم: (إن الغضب من الشيطان، وإن الشيطان خلق من النار، وإنما تُطْفَأ النار بالماء، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ) [أبو داود].

* تدريب النفس على الحلم: وهو أهم وسائل العلاج، وقد أمر اللَّه به، فقال سبحانه: {خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين} [الأعراف: ١٩٩]، ووصف به عباده فقال: {وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلامًا} [الفرقان: ٦٣]، وقال: {وإذا ما غضبوا هم يغفرون} [الشوري: ٣٧]، وقال الرسول صلى اللَّه عليه وسلم: (لا تغضب) [البخاري والترمذي]. فليجعل المسلم الحلم خلقًا لازمًا له على الدوام.